الإسلام في الهند حتى منتصف القرن السادس الهجري

للدكتور أحمد رجب محمد علي *

يذكر البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان أنه : لما ولى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عثمان بن أبى العاص البحرين وعمان سنة ١٥ هـ ، وجه أخاه المغيرة إلى « خَوْرِ الديبل** » وهى من بلاد الهند فلقى العدو فظفر به . وعندما ولى الخلافة عثمان بن عفان ـ رضى الله تعالى عنه ـ ولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق وكتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه ويخبره به فوجه إليها حكم بن جبلة العبدى فلما رجع إلى عبد الله بن عامر أوفده إلى عثمان بن عفان فسأله عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ عن حال بلاد الهند فقال له « ماؤها وشل[1] ، وتمرها دقل[2] إن قل الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا »، فتراجع عثمان بن عفان عن غزوها حتى سنة ٣٨ هـ فى خلافة على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ حيث وجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدى فظفر منه بمغانم كثيرة[3]

* الكاتب : مدرس الآثار والعمارة الإسلامية ـ كلية الآثار جامعة القاهرة .

** الخَوْر ـ بزنة شعر : مصب الماء فى البحر ، والمنخفض من الأرض بين مرتفعين ، والخليج .

(١) يذكر ابن منظور فى معجمه لسان العرب أن الوشل بالتحريك الماء القليل يحلب من جبل أو صخر يقطر منها قليلا لا يتصل قطره : انظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى : لسان العرب . باب اللام فصل الواو مع الشين .

(٢) الدقل : هو الثمر الضعيف وخصوصاً التمر ذو النوى الكبير واللحم القليل والشكل الردىء . انظر لسان العرب ـ باب اللام فصل الدال ، وفى الصحاح أن الدقل هو النخل الردىء والشجر الردىء الغير مكتمل النضج والنمو . انظر : اسماعيل بن حماد المصرى : الصحاح . باب اللام ، فصل الدال .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣١٩ هـ سنة ١٩٠١م ، ص ٤٣٨ .

وفى سنة أربع وأربعين من الهجرة النبوية الشريفة غزا المهلب بن أبى صفرة ثغور الهند وغنم منها مغانم كثيرة[٤] ومن الجدير بالذكر أنه كانت هناك صلات وثيقة بين العرب وثغور الهند قبل هذه الغزوات السابق ذكرها حيث كانت هناك صلات تجارية ، وكان العديد من التجار يفدون من الهند إلى الجزيرة العربية والعكس[٥] وكانت الحاصلات العربية ترسل من اليمن إلى الهند أيام الأسرة السبئية وكذلك الأسرة الحميرية وتستورد من الهند التوابل وغيرها من الحاصلات والمنتجات الهندية[٦] ؛ ولذا سهل على المسلمين فيما بعد فتح تلك البلاد غير أنهم لم يستقروا فيها ويستوطنوها وينشروا الإسلام فيها على نطاق واسع إلا بعد فتحها على يد محمد بن القاسم من قبل الحجاج والى العراق .

محمد بن القاسم وفتح بلاد الهند

يذكر البلاذرى أنه فى عهد الوليد بن عبد الملك – وفيما كان الحجاج والياً على العراق – كان هناك نسوة فى « جزيرة سيلان » من أبناء تجار عرب مات آباؤهن وأراد ملك الجزيرة أن يرسلهن إلى الحجاج من باب التقرب إليه فجعلهم فى سفينة أقلعت من سيلان فى طريقها إلى العراق ، واعترض هذه السفينة بعض اللصوص فى بوارج فأسروا السفينة وأخذوها ، فأرسل الحجاج إلى داهر ملك السند يطلب تخلية سبيل هؤلاء النسوة ، فأرسل إليه داهر ملك السند بأنه قد استولى عليهم لصوص لا يقدر عليهم فغضب الحجاج وعزم على غزو بلاد السند[٧] .

ويذكر بعض المؤرخين أن سبب غزو الحجاج للسند هو هجرة جماعية من بنى هاشم إلى السند فراراً من ظلم الحجاج وعسفه بالعراق ، فكتب الحجاج إلى ملك السند يطلب منه تسليم الفارين ولكنه لم يظفر بما يريد ؛ فقرر أن ينتقم لنفسه من ملك السند[٨] على أننى أرى أنه حتى ولو كانت هاتين الحادثتين صحيحتين فإننا يمكن أن نضيف إليهما شيئاً آخر هاماً لغزو بلاد السند وهو الرغبة فى نشر الإسلام . وتوسيع الرقعة الإسلامية .

---

(٤) شمس الدين القرى : دول الإسلام ، مخطوط محفوظ بقسم المخطوطات بمكتبة أزاد ، عليكره ، الهند برقم ٣٥/٣٢ تاريخ عربى ورقة ١٢ وجه .

(٥) انظر فيليب حتى – تاريخ العرب مطول – الجزء الأول حيث أفاض فى بيان هذه العلاقة فيما قبل الإسلام . ود. جواد على / تاريخ العرب قبل الإسلام لهذه الفترة من العلاقات والقاضى أطهر مباركيورى الهندى : العرب والهند فى عهد الرسالة . ترجمة د. عبد العزيز عزت عبد الجليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٣ ، عبد الحميد العبادى : صور من التاريخ الإسلامى . الاسكندرية سنة ١٩٤٨ ، ص ١٤٧ .

(٦) الحاج عبد الوهاب العسكرى : الهند والعالم العربى والشرق ، مطبعة الرأى ، بغداد ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٢م ، ص ٣ .

(٧) لبلاذرى : المصدر السابق ، ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

(٨) د. عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، الطبعة الثالثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ ، سنة ١٩٩٠م ، ص ٧٤ .

وفى سنة ٩٢ هـ / ٧١١م وجه الحجاج بن يوسف الثقفى ابن أخيه الشاب محمد بن القاسم ، ـ وكان فى حوالى السابعة عشرة من عمره ـ على رأس جيش قوى لغزو بلاد السند فأخذ يفتح البلده تلو الأخرى حتى قابل داهر ملك السند فانتصر عليه وقتله[٩] ولما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السندففتح مدينة « روار » وأخذ يفتح المدينة تلو الأخرى أحياناً عَنْوَةً وأحياناً صُلْحًا حتى فتح « الملتان » وغنم مغانم كثيرة حتى أن ما أنفق على الحملة والحروب كان ستين ألف ألف درهم (ستين مليون درهم) فيما كانت مغانمه مائة وعشرين ألف ألف درهم (مائة وعشرين مليون درهم)[١٠] .

وفى سنة ٩٥ هـ (٧١٣م) مات الحجاج بن يوسف الثقفى وتلاه موت الخليفة الأموى الوليد ابن عبدالملك ، وخلف الوليد بن عبدالملك أخوه سليمان بن عبدالملك فولى صالح بن عبدالرحمن على العراق ، وولى يزيد بن أبى كبشة السكسكى السند ، وكان صالح بن عبدالرحمن يكره الحجاج وأقاربه حيث كان الحجاج قد قتل أخاه ؛ لذا أمر بأن يحمل إليه محمد بن القاسم وهو ابن أخى الحجاج مقيداً بالسلاسل فلما جىء به سجنه « واسط » بالعراق وانتهى الأمر بقتله[١١] .

الغزنويون وبلاد الهند

خمدت الفتوحات الإسلامية فى الهند بعد عزل محمد بن القاسم وقتله ، وظل الحال كذلك حتى سنة ٣٥١ هـ ، (٩٦٢م) حيث استطاع « سبكتكين » والد السلطان المشهور « محمد الغزنوى » أن يحتل « مدينة غزنة » عاصمة الأفغان . وكان سبكتكين أول مسلم غير عربى يهاجم الهنود المتاخمين لبلاده ، وبذلك مهد الطريق لابنه محمود الغزنوى الذى نفذ إلى الهند من حدها الشمالى الغربى وقاتل « الراجا . رجبيال » ومن بعده قاتل ابنَهُ (أنا ند بال) الذى ثار عليه وألب عليه قبائل الهندوس وراجواتهم فهاجموا مدينة بيشاور ولكن النصر فى النهاية أحرزته جيوش المسلمين ، ومنذ ذلك الحين صارت ولاية البنجاب[١٢] تابعة للمسلمين[١٣] .

أخذ محمود الغزنوى ينتقل من غزوة إلى غزوة ومن نصر إلى نصر فى بلاد الهند فغزا (أبهاطيه) سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) وغزا « أفولتان » سنة

---

(٩) الإمام الحافظ أبى الفداء بن كثير الدمشقى : البداية والنهاية فى التاريخ الإسلامى ، جـ ٩ مطبعة السعادة ، طبعة بدون تاريخ طبع ، ص ٨٧ ، وانظر محمد غبدالمجيد العبد : الإسلام والدول الإسلامية فى الهند ، الطبعة الأولى ، مطبعة الرغائب ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٤ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ الإسلامى ، المجلد الرابع ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٥٣٩ .

(١١) حافظ شمس الدين الذهبى : تاريخ دول الإسلام مخطوط محفوظ بمكتبة ازاد ، عليكره ، الهند ، تحت رقم ١١٩/٣٢ تاريخ عربى ورقة ١١ وجه ، وانظر البلاذرى : المصدر السابق ، ص ٤٤٦ .

(١٢) فى شمال الهند .

(١٣) د. محمد عبدالمجيد العبد : الإسلام والدول الإسلامية فى الهند . ص ٥ .

٣٩٦ هـ (١٠٠٥م) وفتح قلعة « كواكر » وكان بها ستمائة صنم حرقها وحطمها وحاصر « كالنكر » وكانت مدينة محصنة بها خمسمائة ألف إنسان وخمسمائة فيل ، ولم يلبث أن صالحة واليها بعد ثلاثة وأربعين يوماً من الحصار[١٤] وفى سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢م) غزا محمود الغزنوى « كشمير » وفتح بها عدة مدن وفى سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦م) فتح محمود الغزنوى (مدينة قنوج)[١٥] وحطم أصنامها وفر ملكها واستولى على (قلعة ميرت ، وجلجند ، ومترا)[١٦] .

وفى سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩م) كتب محمود الغزنوى إلى الخليفة العباسى فى بغداد يخبره بفتوحاته فى الهند فابتهج الخليفة العباسى ، وأعلن هذا الخبر على الناس ، وعقدت المجالس المتعددة لإعلان هذا الابتهاج والدعاء لمحمود الذى اعتبروه مجدداً لعهد الصحابة فى فتح البلاد ونشر راية الإسلام ، وكان ذلك بمثابة عيد عظيم فى بغداد ، وأنعم عليه الخليفة بالألقاب والخلع[١٧] .

على أن أهم غزوات السلطان محمود الغزنوى فى الهند كانت سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٥م) . حيث توجه محمود الغزنوى إلى ولاية « جوجرات » قاصداً هدم معبد « سيفا » بمدينة « سومنات » حيث يوجد صنم يدعى « سومنات » يحج إليه الهنود ، ويزعمون أن الأرواح إذا ما فارقت أجسادها اجتمعت عنده ، واجتمع الهندوس عند ذلك المعبد للدفاع عنه إلا أن السلطان محمود انتصر عليهم ، واحتمى كهنتهم بالمعبد ، وتوسلوا إلى السلطان محمود ألا يهدم أصنامهم فى مقابل فدية يدفعونها له إلا أن السلطان محمود الغزنوى أبى ؛ إذ أنه لم يخرج طلباً للمال ، بل مدفوعاً بحماسه الدينى لمحاربة الوثنية ، وإعلاء كلمة الله ، ولما بدء تحطيم الصنم تناثر من جوفه الجواهر الثمينة وقطع الذهب كما لو كانت مياها تتدفق من النوافير[١٨] .

وفى سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠م) أصبحت منطقة البنجاب بأكملها خاضعة للسلطان الغزنوى الذى توفى فى نفس العام بعد أربعين عاماً من النشاط قضاها فى تأسيس وإنشاء قواعد دولته ونشر الإسلام ، وكان عمره آنذاك ثلاثة وستين عاماً[١٩] .

وبعد وفاة محمود الغزنوى تولى ابنه مسعود الملك ، وواصل الفتوحات فى أرض الهند ، فاستولى على « مكران » و « قلعة شرش » وعين

---

(١٤) د. عبدالمنعم النمر : تاريخ المسلمين فى الهند ، ص ٨٨/٨٧ .

(١٥) يذكر المؤرخ الهندى العتبى فى فتوح قنوج أن السلطان عندما فتح قنوج كان بها أكثر من عشرة آلاف بيت للأصنام يزعم الكفار أنها متوارثة منذ أكثر من مائتى ألف سنة فأخذ بفتح قلاع قنوج الواحدة تلو الأخرى ، وكانت أقوى قلاعهم (قلعة البراهمة) ، انظر الشيخ أبى نصر العتبى ، تاريخ العتبى المسمى بالفتح الوهبى ، الهند ، حيدر أباد طبعة ١٣٤٨ هـ ، ص ٣٧٩ .

(١٦) Mahmod Habib : Sultan mahmod of Ghazain : New delhi, 1967. p.37. - 41.

(١٧) د. عبدالمنعم النمر : المرجع السابق . ص ٦٤ .

(١٨) عبد المجيد العبد : المرجع السابق . ص ٦ .

(١٩) Mahmud Habib : Op. Cit p.60.

« أحمد نيالكين » نائباً عنه فى الهند إلا أنه لم يلبث أن شق عصا الطاعة وتمرد عليه ؛ فأرسل إليه مسعود جيشاً هزمه واضطره للفرار ، وظل يواصل فتوحات أبيه حتى قُتِلَ عام اثنين وثلاثين واربعمائة من الهجرة فولى مكانه أخوه محمد ثم قتله مودود بن مسعود وقام مقام أبيه[٢٠] وقد واصل مودود بن مسعود سياسة أبيه وجده فى الفتوحات فى بلاد الهند وظل كذلك حتى مات سنة إحدى وأربعين وأربعمائة من الهجرة بـ (غزنة) وقام فى الملك بعده عمه عبد الرشيد بن محمود فَأَمَّرَ على بلاد الهند « شنجين » الحاجب الكرخى ، وبعثه إلى « لاهور » فأحسن السيرة وقُتِلَ عبد الرشيد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، فقام بالملك بعده « إبراهيم بن مسعود » وقد دخل إبراهيم بن مسعود حروباً كثيرة مع [الأعداء] انتصر فيها ، وظل كذلك حتى توفى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ؛ فقام بالملك بعده ولده مسعود ابن إبراهيم حتى مات سنة ثمانية وخمسمائة ، وقام بعده بالملك ولده « أرسلان شاه » وخرج على أرسلان أخوه بهرام بن إبراهيم الغزنوى وقتله فى سنة اثنى عشر وخمسمائة ، وقد قدم بهرام بن إبراهيم الغزنوى إلى الهند سنة اثنـى عشر وخمسمائة ، وكان نائبه على الهند قد أظهر العصيان عليه فقبض عليه وحبسه . وفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قصد سيف الدين الغورى مدينة غزنه وملكها وفارقها بهرام شاه إلى بلاد الهند وجمع جموعاً كثيرة ، وسار إلى غزنه وملكها فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، فلما سمع بذلك علاء الدين الغورى قدم إلى غزنة بجيشه غير أن « بهرام شاه » مات قبل وصوله وخلفه ابنه « خسرو شاه » الذى خرج إلى الهند وترك غزنه للغوريين وظل بها حتى مات سنة خمس وخمسين وخمسمائة فخلفه ولده خسرو ملك بن خسرو شاه وفى عهده انقرضت دولة آل سبكتكين على يد شهاب الدين الغورى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة[٢١] .

(٢٠) محمد قاسم فرشته : تاريخ شاهانى مغل ، مخطوط مؤرخ سنة ٩٩٨ هـ محفوظ بقسم المخطوطات . مكتبة أزاد ، عليكره ، الهند ، تحت رقم ٣٣/٣٤٣ تاريخ فارسى ، صفحة ٤٤ ، ٤٥ .

(٢١) المؤرخ الهندى عبد الحى الحسنى الندوى (م. ١٣٤١ هـ) : الهند فى المعهد الإسلامى ، طبعة حيدر آباد ، الهند ١٩٧٢م . ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .